المحاضرة السابعة

مقاومة النوميد والمور للاحتلال الروماني

اعتمدت روما في احتلالها لبلاد المغرب القديم على مراحل وسياسة معينة ويظهر في البداية التدخل في شؤون المنطقة وهو احتلال غير مباشر لتظهر نواياها الحقيقة باحتلال المنطقة احتلال مباشرا حيث كانت في البداية تعتمد على سياسة المصالح المتبادلة بينها وبين حكام المنطقة و كان ذلك فترة حكم الملك ماسينيسا ومن بعده ابنه مكيبسا ثم انتقلت الى مرحة الند للند وكانت في عهد الملك يوغرطة وبعدها فترة ضعف وتبعية ملوك بلاد المغرب حيث اعتمدت على الدهاء السياســي والقوة العسكرية والترغيب وكانت بعد القضاء على الملك يوغرطة الى القضاء على يوبا الاول ونهاية مملكة نوميديا لتبقى مملكة موريطانيا في الاخير والتي لم تكن سوى مملكة تخدم المصالح الرومانية والتي اجلت روما الحتلالها والذي سيكون مع بداية القرن الاول ميلادي واغتيال اخر ملوكها بطليموس سنة 40م لتعلن بذلك روما ضم كامل مناطق المغرب القديم الى املاك الامبراطورية الرومانية.

لكن مقاومة سكان بلاد المغرب لن تتوقف واستمرت طيلة فترة الاحتلال الروماني ودخول الاحتلال الوندالي الذي وجد المساعدة الكبيرة من السكان المحليين بع بداية القرن الخامس ميلادي، وفيما يلي بعض مقاومات المحلية لسياسة الاحتلال الروماني :

1/ حرب يوغرطة 112-105 ق.م

ولد الملك يوغرطة حوالي 160 ق.م لم تصلنا معلومات كثيرة عن تربيته ونشاته غير التي ذكرها ساليستيوس في مؤلفه حرب يوغرطة la guerre de jugurtha حيث وصفه هذا الاخير بما يلي " كان قويا في شبابه جميلا مولعا بركوب الخيل والرماية والسباق وكان يقضي جل اوقاته في الصيد خاصة صيد الاسود "

كما كان يوغرطة متواضعا وشديد الحب للعمل والتعاون مع بني جلدته الامر الذي جعله محل احترام لدى النوميديين واصبح له شعبية واسعة بينهم الامر الذي دفع بعمه

مكيبسا الى تبنيه واصبح ابنا شرعيا يحق له في الملك الى جانب ابنيه اذربعل وهيمبصال توفي يوغرطة سنة 104ق.م

- وبعد وفاة الملك مكيبسا سنة 118 ق.م حدث صراع على العرش بين الابناء الثلاثة حيث سعى يوغرطة الى قتل هيمبصال الذي كان يحقد عليه كثيرا والذي تكلم في عدم احقية يوغرطة في الملك بعد ان فشل في اقناعهم بضرورة الغاء الامتيازات التي منحها ابوهم للرومان و التجار الايطاليين في الخمس السنوات الاخيرة قبل وفاته وعندمالم يتفق الثلاثة على حل يرضيهم استطاع يوغرطة قتل هيمبصال سنة 117 ق.م

- بوفاة هيمبصال سيقوم يوغرطة وابن عمه اذربعل باقتسام نوميديا الى قسمين بتدخل من مجلس الشيوخ الروماني بعد ان اكتشفوا نوايا يوغرطة في القضاء على مصالح الرومان في نوميديا حيث سياخذ يوغرطة الجزء الغربي واذربعل الجزء الشرقي محاذاة لمقاطعة افريقيا الرومانية ابتداءا من سنة 116ق.م

- ويبدوا ان التقسيم الذي كان ربما بايعاز من روما لم يعجب بوغرطة وسعى الى القضاء على اذربعل و الاستلاء على كامل نوميديا وتوحيدها وارجاعها كما كانت في عهد جده ماسينيسا وقد استطاع يوغرطة من القاء القبض على اذربعل وقتله واحتلال سيرتا وتوحيد نوميديا سنة 112ق.م ولم يتوانى في قتل الجالية و التجار اليطاليين في سيرتا وهو الامر الذي لم يعجب الرومان و الذي صرب مصالحهم وبعد عدة لقاءات بين الطرفين اعلنت روما الحرب على يوغرطة سنة 112ق.م

-1-1- مراحل الحرب :

ارسلت رما قرابة أربعين ألفا بقيادة بستيا bestia الى ولاية افريقيا الرومانية وكان ذلك سنة 111ق.م وفور وصوله بدا يتحرك باتجاه نوميديا استطاع اخضاع مناطق منها لكنه توقف بعد ذلك بعد ان عقد معاهدة صلح مع يوغرطة اعترف له فيه بالسيادة على كامل نوميديا بالستثناء لبدة الكبرى مقابل ان يدفع يوغرطة مبلغا من المال والمواشي و الخيول و الفيلة والظاهر ان باستيا لم يستطع اخضاع الملك يوغرطة لدهائه وقوته في ادارة المعارك الامر الذي اجبره على توقيع معاهدة الصلح

- ثم ارسلت روما قائدا اخر الى افريقيا سنة 110 ق.م يدعى سوبرينوس البينوس على راس اربعين الفا من الجنود وكانت مهمته القضاء على الملك يوغرطة الا انه لم يصمد امام الضربات القوية وسياسة الكر و الفر التي انتهجها الملك يوغرطة للقضاء على الجيوش الرومانية فاستدعت روما البينوس وعينت مكانه اخوه اوليوس البينوس الا انه فشل هو الاخر ومني بشر هزيمة سنة 109ق.م

ونظرا للهزائم التي مني الجيش الروماني عينت روما قائدا جديدا على راس الجيش هو القنصل ميتلوس ومعه ضابطين مساعدين ريتيلوس وماريوس ونزلوا بافريقيا اواخر 109 ق.م وقد عمل القائد الجديد على تنظيم الجيش وتقسيم وحداته وبدا يسير حيث استطاع احتلال مدينة باجة ومنه سار الى واد المثول (واد ملاق بتونس) وقد الحق يوغرطة هزائم بالجيش الروماني في هذه المنطقة وقام بتسميم منابع المياه والاعشاب حتى لا يستغلها الرومان واستطاع يوغرطة استرجاع باجة التي احتلها الرومان والتي سيسيطرون عليها مرة اخرى لينسحب بعد ذلك الى الغرب ويعقد تحالفات مع صهره بوخوس ملك موريطانيا ويقوما بشن حربا مشتركة ضد رما

وفي هذه الاثناء قامت روما بتعيين قائد جديد على راس الجيش الروماني هو القائد ماريوس خلفا لميتلوس حيث اعاد تقسيم الجيش و تنظيمه وقد جرت معارك كثيرة بين الطرفين بنواحي سيرتا حيث تاكد من خلالها ماريوس صعوبة القضاء على يوغرطة رغم انه قد وصل الى غاية نهر الملوية في تعقبه للملك يوغرطة وعندما لم يستطع ماريوس القضاء على يوغرطة سلك اسلوبا اخر في ذلك وهو عقد تحالف مع بوخوس ملك موريطانيا والتامر للقضاء على يوغرطة مقابل مكاسب مادية يستفيد منها بوخوس حيث اقتضت المكيدة اقناع يوغرطة من طرف صهره على ضرورة التفاوض مع الرومان لانهاء الحرب بين الطرفين وتم تدبير الامر بالقضاء على يوغرطة بتامر من صهره بوخوس وتم القضاء عليه سنة 105 ق.م حيث تم نقله الى روما وتم الاحتفال بالنصر الذي حققته روما بالقضاء على يوغرطة الذي توفي بالسجن هناك سنة 104 ق.م

2/ - **ثورة يوبا الأول 47-46 ق.م:**

من بين اسبابها انه حدث صراع في روما بين القنصلين ويصطلح عليها ايضا بالحرب الاهلية الاولى بين بومبي pampius و قيصر césarius حيث انعكس هذا الصراع على افريقيا التي كان يحكم نوميديا فيها يوبا الاول حيث انحاز وتحالف هذا الاخير مع بومبي ضد قيصر الذي تحالف معه بوخوص الثاني وبوغيدا ملك موريطانيا وكان هذا التحالف مبيني على مصلحة نوميديا حيث رأى في ذلك يوبا الأول ان قيصر و أنصاره يسعون الى التوسع في نوميديا عكس ما كان يدعوا إليه بومبي و انصاره في عدم التوسع في نوميديا والإكتفاء بالاراضي التي ورثوها عن قرطاج

ارسل قيصر قائدة كوريونcurion الى افريقيا سنة 49 ق.م للقضاء على انصار بومبي لكن يوبا الاول استطاع من الانتصار عليه والحق به الهزيمة ، الامر الذي اثار قيصر وعزم على احتال نوميديا و القضاء على ملكها حيث نزل بافريقيا في سنة 47 ق.م ومعه حوالي عشر فرق من المشاة وثلاثة من المشاة الخفيفة العدة وأربعة ألاف فارس كما انضم إليه قوات ملك موريطانيا بوخوس الثاني وانضم اليه ايضا المرتزقة الايطاليين المقيمين بموريطانيا بقيادة سيتيوسsittius وكان عدد جنود يوبا الاول حوالي ثلاثين ألف جندي مشاة وخمسة عشر الف من الفرسان وستون فيلا انضمت الى قوات بومبي التي كان عددها عشر فرق من الرماة و المشاة وحوالي خمسة عشر الف من الخيالة واسطول بحري يضم 50 سفينة .

دارت المعارك بين الطرفين وكان جل انتصاراتها لصالح قيصر وحلفاءة خاصة منها معركة تابسوس (راس ديماس) سنة 46 ق.م التي كانت فاصلة بين الطرفين وفتحت الباب في انتصارات جديدة لقيصر وامام هذه الانهزامات التي مني بها يوبا الاول وانصاره لم يتمكن من الصمود كثيرا حيث انسحب الى مدينة زامة التي رفض سكانها استقباله ومياعدته الامر الذي ادى به الى الانتحار حتى لا يقع في ايدي الرومان سنة 46 ق.م.

3/- ثورة أرابيون 44-40 ق.م :

بعد الانتصار الكبير الذي حققه قيصر والتوسع في نوميديا فر أرابيون ابن ماسينيسا الثاني الى اسبانيا على إثر التوسعات التي قام بها ملك موريطانيا بوخوس الثاني والتي

وصل من خلالها الى الوادي لكبير lampsaga ، وعندما قتل قيصر سنة 44 ق.م عاد ارابيون الى افريقيا واعاد التحالف مع البومبيين وتنظيم صفوفهم استطاع استرجاع جزء من الاراضي التي سيطر علها بوخوس الثاني وقتل زعيم المرتزقة الايطاليين سيتيوس حيث نتج عن ذلك ضم الكونفيدرالية السرتية التي كان يسيرها سيتيوس الى مقاطعة افريقيا الجديدة سنة 44 ق.م.

غير ان الحاكم الروماني لافريقيا الجديدة خاف من اربيون وقوته التي لا يستهان بها بعد ان متن اركان مملكته التي أحياها يكون مصيره كمصير الاخرين، لذلك قرر سالستيوس ان يضع حدا لطموحات الامير النوميدي فأوعز باغتياله وكان ذلك سنة 40 ق.م وبوفاته انتهت ثورة ارابيون.

4/- ثورة تاكفاريناس17-24م:

مع تزايد نفوذ روما في بلاد المغرب بعد القضاء على الملك يوبا الاول و ضم الجزء الشرقي من نوميديا الى الاراضي الرومانية وتوسعاتها الداخلية نحو الجنوب اصطدمت بثورات عنيفة منها ثورة تاكفاريناس والذي كان قبل أن يثور ضد روما يعمل كجندي مساعد في الفرق الرومانية .

من الممكن الى حد كبير أن سبب انسحابه من الجيش الروماني واعلانه الحرب على الرومان هو السياسة التي انتهجتها روما في مصادرة اراضي القبائل الاوراسية التي هو احد افرادها، وقد تحالفت معه مجموعة كبيرة من القبائل المجاورة من الشرق و الغرب لأن مصيرهم سيكون واحد، وقد انضم إليه قائد القبائل المورية مازيبا maziba ، ما يؤكد ذلك هو النداء الذي وجهه تاكفاريناس للامبراطور الروماني تيبيريوس في ضرورة اعادة الاراضي التي سلبتها روما من أصحابها في الاقليم الأوراسي و الإنسحاب منها مقابل ايقاف ثورته ضد الرومان .

من بين الاسباب ايضا قيام رومان بشق الطرقات، كانشاء طريق بين قفصة وتبسة على أراضي الموسلاميين، وفصل بذلك قبائل الموسلامي عن جيرانهم الكنثيين(هم قبيلة كبيرة تتمركز بجوار السيرت الصغير) والجيتوليين وما ترتب عنه الحد من حريتهم في

التحرك، ومنع التجارة بين الشمال والجنوب، وكذا التنقل من الجنوب الى الشمال للرعي في فصول يقل فيها الرعي.

شكل تاكفاريناس جيشا قويا من مختلف القبائل التي انضمت إليه واعتمد على القبائل الجيتولية وقام بتنظيمهم عسكريا وقسم جيشه الى مشاة وفرسان وكلف حليفه مازيبا باتباع اسلوب الكر و الفر وهو حرب العصابات الذي أرهق الرومان كثيرا وجنود مسلحون مدربون وفق أساليب رومانية تحت قيادة تاكفاريناس .

أثارت ثورة تاكفاريناس هلعا كبيرا في صفوف الجيوش الرومانية وأربكت الأباطرة الرومان حيث لم تستطع الفرقة الاغسطية الثالثة من القضاء عليه بل وقد استطاع محاصرتها في الكثير من الثورات، الامر الذي حتم على الرومان استدعاء الفرقة الاسبانية التاسعة بقيادة سكيبيو. وعينت روما قناصلا اقوياء للقضاء على تاكفاريناس لكنهم لم ينجحوا في ذلك، وقد كسب تاكفاريناس تاييدا كبيرا من القبائل الاوراسية والمورية حيث كان دائم الانسحاب الى المناطق الداخلية لتنظيم صفوفه ثم الظهور بقوة مستعملا في ذلك سياسة الكر و الفر.

ومع طول مدة ثورة تاكفاريناس عينت روما قائدا يدعى بلاسيوس هذا الاخير الذي فهم استراتيجية تاكفاريناس في الحرب، حيث استعمل نفس اسلوب تاكفاريناس في الحرب اين قسم فيالقة الى فرق صغيرة والفرق الى كتائب حتى يسهل التنقل و محاصرة تاكفاريناس لكنه لم يستطع القضاء عليه، فعينت روما قائدا يدعى دولابيلا سنة 22م اتبع نفس اسلوب تاكفاريناس واستمال بعض قبائل الموزولامي واستطاع ترضيتهم كما تلقى مساعدات من بطليموس ، حيث استطاع بذلك اجبار تاكفاريناس على الانسحاب الى ضواحي أوزيا (سور الغزلان حاليا) وفي معركة حاسمة هناك قتل الملك تاكفاريناس لتنتهي بذلك ثورته التي دامت السبع سنوات اذاق فيها الرومان هزائم عديدة.

5/ ثورة ايدمون 40-42م :

على إثر حادثة اغتيال الملك بطليموس من طرف الإمبراطور الروماني كاليغولا عمت الاضطرابات والفوضى المملكة الموريطانية حيث تجمع الثائرون تحت قيادة أحد المقربين للملك ومن حاشيته يدعى ايديمون Aedemon الذي قرر الثأر لاغتال بطليموس، ومن

بين اسباب الثورة هو تذمر سكان بلاد المغرب من السياسة الاستطانية الرومانية في المنطقة و الاعلان عن الإلحاق الكامل لبلاد المغرب لحدود الامبراطورية الرومانية وأمام عجز الجيوش الرومانية في افريقيا للقضاء على هذه الثورة تم استدعاء قوات اضافية من شبه الجزيرة الايبيرية وقد وصل عدد الجيش الى 20 الف جندي خصصوا لاحتلال موريطانيا و القضاء على الثورات فيها بما فيها ثورة ايدمون حيث لم تخمد الثورات الى غاية القضاء على ايدمون سنة 42م .

6/ ثورات قبائل البوار و قبائل الحلف الخماسي و الدوناتيون :

كانت موريطانيا القيصرية موطنا للعديد من الاضطرابات خلال القرن الثالث الميلادي، ومنها تلك التي شاركت فيها قبائل البوارbavares التي يذكر العربي عقون انها قرية في إقليم النمامشة في الاوراس الشرقي، وينقسمون الى البوار الغربيون المنتشرين في ضواحي تلمسان والبوار الشرقيون متواجدون في منطقة بابور، وقد تحالفوا مع قبائل الحلف الخماسي في النصف الثاني من القرن الثالث الميلادي التي اشتدت بين سنوات 253م حتى 260م،وبين 289م حتى 298م كانت تهدف إلى التخلص من السيطرة الرومانية والحصار الذي فرض على السكان المحليين وسياسة الاستيلاء على الأراضي الزراعية ، كما ظهرت الثورة الدوناتية المنشقة عن الكنيسة الكاثوليكية والتي كان لها تأثير كبير في اشعال الثورات في بلاد المغرب و التي تبناها السكان المحليين.

7/ ثورة الدوارون أو الريفيون :

أدت السياسة التعسفية وكثرة الضرائب التي فرضها الرومان على سكان المغرب القديم إلى اندلاع ثورات متعددة في كامل المنطقة منها ثورة الدوارون التي شملت فئات متعددة من السكان حيث ذكرت لأول مرة من طرف الأسقف أوبطا الميلي ، حيث يقول عنهم مونصو monceaux انهم مجرد مغامرين وعبارة عن عصابات متكونة من مجموعة من الجياع و الفقراء كاثوليك مفصولين عن الكنيسة .

في حين يرى محمد البشير شنيتي ان الدوارون لم يكونوا لصوصا كما يزعم البعض من المؤرخين ولا قطاع طرق إنما تمردهم كان نتيجة الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية المزرية ، وقد تحالف الدوارون مع الدوناتيون وخاضوا معارك عديدة أين انتقلت الدوناتية من حركة دينية الى تنظيم مسلح بمساعدة الدوارون استمرت طيلة القرن الرابع وبداية القرن الخامس، حيث نجد الدوناتيون يتحالفون مع الوندال في حملتهم على بلاد المغرب مع بداية القرن الخامس للميلاد .

8/ - ثورة فيرموس واخوه جيلدون :

لا يمكن إغفال الصراع الذي كان قائما بين الدوناتيين والكاثوليك، والذي كان له أثر في تقسيم بلاد المغرب القديم إلى فريق مؤيّد للكنيسة الكاثوليكية التي تساندها السلطات الرومانية، وفريق متحالف مع الكنيسة الدّوناتية كان بحكم الظروف القاسية التي يعيشها أكثر استعدادا للانضمام إلى المعارضين لسلطات الاحتلال والذين كان يتزعمهم فيرموس firmus ويبدو أنه لا مبرر للفصل بين تلك الأسباب جميعا، فقد تداخلت وتفاعلت في صياغة هذا الحدث التاريخي، ويؤكد ذلك (روني كانيا) في أن ثورة (فيرموس التي اندلعت ما بين 372-375م تعود لأسباب دينية ومطالب استقلالية وانتقام شخصي وقد امتدت ثورته من جيجل لومباز شرقا الى تنس و الشلف غربا واوزيا و مسيلة جنوبا .

استطاع فيرموس أن يحرز على عدة انتصارات حيث إقتحم عاصمة المقاطعة (قيصرية) فخّربها ، وتمكن من الاستيلاء على (إيكوزيوم)، وحاصر تيبازة ، وسيطر على المدن الواقعة بسهول متيجة ومنطقة القبائل وعلى سهول الشلف والجبال المجاورة لها، ووصل إلى - كارتناي وأوزيا - فكانت رغبته الاستقلال بموريطانيا القيصرية.

استمرت حالة الاضطرابات بموريطانيا القيصرية بعد ثورة (فيرموس)، إذ لم تمض عشرون سنة عن مضيّها حتى اندلعت ثورة يقودها جيلدونGildon بين سنوات 396-398م ضد السلطة الرومانية، وقد استطاع جيلدون ان يحجز السفن المحملة بالقمح التي كانت ستبحر نحو إيطاليا و كاد الحصار الإقتصادي الذي فرضه (جيلدون) أن

يحدث مجاعة بعاصمة الإمبراطورية، بحيث ارتفع سعر القمح، واختفى من أسواقها، وتأخرت الدولة عن دفع رواتب الجند التي كانت تدفع نسبة منها قمحا. ولكنها في الخير فشلت واستطاعت روما من القضاء عليها نتيجة التحالفات و استمالة القبائل التي كانت تساند جيلدون في الثورة .